إمـــــــــارة دبي

المؤتمر الدَّولي الثَّاني للُّغة العربيَّة
(اللُّغة العربيَّة في خطر الجميع شركاء في حمايتها)

عنوان البحث

وأَعِدُّوا لهَا ما كَسَبْتُم

إعداد :

د. سليمان حسن زيدان

جامعة عمر المختار ـ ليبيا

تنتج المعرفة بالشيء الإدراك بالقيمة . والإدراك يؤسس لعقد الصِّلات بين العارف والمعروف ، ومن ثمَّ تُحدَّد أبعاد العلاقة وأنماطها ؛ فإمَّا الارتباط ونشوء الألفة ، وإمَّا التَّحاشي وشيوع النفور ؛ ففيها . المعرفة . جلاءٌ للحقيقة الكامنة والمحيطة بموضوع المراد الإطلاع على جوهره ؛ فكيف سيكون شعور المرء إذا كان الأمر يتعلَّق بهويته التي هي سبيل تواصله من محيطه ، وتفاهمه مع بني جنسه ، والتي تميزه عن غيره من حاملي الهويات الأخرى المقابلة. إنَّ المَعنِيَّ بالقول والمقصود بالإشارة يكفيه سمو قيمة أنَّه قد دلَّل على قدره بذاته البيانية والكَميَّة التي جعلت فضاءه رحبًا قابلاً لأي تكليف ، متسعًا لأي توظيف . إنَّ المعني بهذا القول مُستحِقٌ له ، ومُستحقٌ منَّا أن نتعامل معه بإجلال وحرص كبيرين يليقان بكيانه ، ويحفظان من كلِّ خطر وجوده وأركانه ، وألا نتغافل برهة عن تجديد التَّفكير في إيجاد آليات تصل بينه وبين كلِّ منتمٍي إليه ، وتعرِّف وتؤكِّد فاعلية حضوره في المعاملات كلِّها لاسيما مع غير المنتمين له ؛ إنَّه . دون ريب . اللُّغة العربية . اللُّغة التي تُنبئ عنها الكرامات التي أعطيت لها من خالق كلِّ شيء ، من اللَّه جاعل المخلوقين بين ألسنة متعدِّدة ، ثمَّ فضَّل بعضها على بعض بالتوظيف والتَّسخير لتكون الحرف المنطوق به كلمات ما كرَّم وعظَّم من رسالاته المنزَّلة ، التي خصَّها بجعلها مرسلَّة ومنزَّلة للأقوام كلِّهم بالرغم من اختلاف ألسنتهم ؛ فكانت اللُّغة العربيَّة الوعاء المتِّسع لكلِّ شيء ، القابل لكلِّ شيء.

وإنَّه لكَسْبٌ عظيمٌ أن نكونَ من آلِ العربيَّةِ ، وكَسبٌ أعظمُ أن يكونَ لسانُ الدِّينِ القويمِ **(القرآن الكريم)** عربيًّا ، ومغانمُ كثيرةٌ جليلةٌ هي تلك التي أورثها لنا الأولون ، تلك التي من ضمنها عدم خلوِّ أيِّ حيزٍ جغرافيٍ من متعبدٍ مسلمٍ يقرأُ القرآنَ بلغته التي أنزل بها . ويعود هذا المدُّ إلى ما وصلت إليه الدولةُ الإسلاميةُ في العصورِ السالفةِ من سموٍ واتساعٍ ضمنَ لها أن تنتشرَ على الأرضِ كلِّها ، وفي أخصبِ أجزائها ؛ سواءٌ أكان في باطنها أم على ظهرها. هذه الخيرات التي تحوزها بلادنا العربية ، هي كسب لها ، ولمن تعول ، ولما سما بها مما خُصَّت به فصار سمةً من أبرِّ سماتِها ألا وهو الحرفُ الذي كان سبيلَ الصِّلةِ والتواصلِ بين أبنائها ؛ فَنُسِبَ إليهم **(اللُّغة العربيَّة)**. هذه اللُّغة التي عُدَّت المقوِّمَ الأساسَ في المكوِّن العربي، وهو ما يفرض علينا . من باب الولاء والانتماء والوفاء . أن نبني لها القوةَ الدفاعيةَ اللازمةَ الداعمةَ لوجودِها وتجديدِ حيويتِها، تأسيسًا على ما نملكُ من القوةِ الماديةِ الهائلةِ ، والبشريةِ المتعددةِ المشاربِ: العلميةِ والفكريةِ والإبداعيةِ ، وبما أوتيتْ من قدراتٍ معرفيةٍ وفنيةٍ تحتاجُ إلى تحفيزٍ واعتبارٍ ، لتصبَّ كفاءتهَا في معينِ العطاءِ والحرصِ ، وتبتكرَ من الآلياتِ ما هو كفيلٌ بعولمةِ اللُّغةِ العربيةِ بجمالياتِها ورصيدِها ذي الكمِّ الكبيرِ مما هو مدونٌ بها في حافظةِ الذاكرةِ الإنسانيَّةِ وسيرتِها، والرفعِ من مستوى حضورِها واقعًا ، وضمانِ وجودِها في الصَّفِ الأولِ مِنَ التَّداولِ والتَّعاملِ والأثرِ والتأثيرِ مُستقبلاً .

إنَّ برَّ العربيَّة واجبٌ مُؤكَّدٌ ، تؤكِّده الصِّلةُ بها ، وتمليه مسؤولياتنا العقدية والأخلاقية وما لها من فضلٍ عظيمٍ عميمٍ على آلِها الناطقين بها ، والمحتاجين إليها على حدٍّ سواء ؛ وإنَّنا من منطلقِ هذه العلاقةِ ملزمون برعايتِها نسبًا وهويةً ومقوِّمَ بقاءٍ وارتقاءٍ ، ومناط بنا العمل على حفظِ مكانتِها في العصورِ كلِّها .. وتأسيسًا على هذا الإلزامِ والالتزامِ عقدتُ العزم ، واجتهدتُ في كتابةِ هذا البحثِ الموسومِ **(وأعِدُّوا لهَا ما كَسَبْتُم)** لأسلِّط الوعي والفكر على قيمةِ لغتِنا ومدى حضورِها شَكلاً ومَضمونًا ، لخلق تنميةِ أسسٍ للتكافل والتفاعل الجديين بين الوسائلِ والوسائطِ المتاحةِ للبلادِ العربيَّةِ كافةً ، متناولاً إيَّاها في يسرٍ محاولاً الوقوفَ عندها ، والتعريفَ بما لنا من كسبٍ ، وما بإمكاننا أنَّ نوظِّفَ من آلياتٍ ، وأن نتَّبع من خطواتٍ لتحقيقِ هذا الغرضِ ، وهو ما نطرقُه في مباحثَ متتالية ، نبين فيها كيفيةَ الاستفادةِ من الكسبِ المتاحِ، عبر استخدام الآلياتِ والخطواتِ الممكن تطبيقها ، واتخاذها عدةً وقوةً تحفظُ العربيةَ وتسمو بها ، ومنها ، وهي :

. ذِكْرٌ وذُخْرٌ

. كسبُ العقلِ والفكرِ

. المُنتَجُ العربيُّ

. التَّعبيرُ الفنيُّ

. التَّصويرُ الفنيُّ

في تفتيح لرؤى تصبُّ . بإذن اللَّه . في نيَّة المحافظة على مكانة اللُّغة ، وصونها من أيِّ عدوى قد تصيبها من آفات العصر التي ليس لها حصر ، والعمل على ضمان مواكبتها لكلِّ تطور واستفادتها منه بتجديد ذاتها ، وقبول ما يرى أبناؤها البررة بها أنَّه في صالحها.

. ذِكْرٌ وذُخْرٌ

الحكمةُ والاستحقاق للصِّفة الجليلة التي وسِمنا بها من اللَّه لا ينفكان يردِّدان على أسماعنا والأذهان : إنَّنا لن نكونَ خير أمَّةٍ أُخْرِجتْ للناس ما لم نجعل من آيِّ الكتاب الحكيم **(القرآن**

الكريم) الذي شَهِدَ الله لنا فيه بذلك ، وأكرمنا فكرَّمنا بجعل اللغة العربية هي اللسان المبين ؛ فلِمْ لا نجعل التربيةَ بالآياتِ القرآنيَّة أولَّ وسائطِ التَّربية ، لما فيها من أحكامٍ ودلائلَ وإشاراتٍ تفصحُ عن قَدْرِ هذا اللُّغةِ ، وكرامتِها وأهلِها الذين كان الرَّسولُ الكريمُ **ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ** منهم ، ونرسخها أساسًا لتوجيه النشء العربي في مراحله العمريَّةِ الأولى ، وتقويمه ، وتقوية صلته بهويته وقيمها ، ليستنير عبرها بسمو كيانه ، ورفعة حرماته ، واللُّغة من ضمنها ؛ فيشبُّ محبًّا وفيًّا لها.

القرآن الذي أُنزل بالبيان فكان معجزةً النبي الخاتم : سيدنا محمد . صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فحوى ما حوى من البلاغة والإعجازَ ؛ أنزِل عربيًّا . أنزله ربُّ العالمين ليكون للعالمين ذكرًا ينير سبيلهم في مسيرة حياتهم ، وذخرًا لهم فيما سينالون بفضله من كرامات وحسنات ، وأمَّة العرب من ضمن العالمين لكنَّها مِيزت بزيادة في الذخر كون القرآن نزل بلسانها ، وفي هذا تشريف لها برفعة القدر والمنزلة ، وتكليف بصون مقام اللُّغة والسمو بها ؛ لأنَّها زيدت بذلك التزامات ومهام تجلَّت في توصيل ألفاظ القرآن ، وما تحمل من معانٍ وتأويلات ، وهو ما ينبهنا إلى ضرورة أن نحفظ اللغة مستمدين العدة والعتاد والثقة بالنفس واللغة من الكتاب نفسه ؛ إذ إنَّ بعضَ آياته تذكر بجلاء أنَّ العربيَّة ذاتُ حظٍّ عظيم ، في شأن هذا التنزيل الجليل ، حيث يُورِد فيه اللَّه تعالى عددًا من الصَّفات الصَّريحة المُبيِّنة لذلك الدَّالة عليه ؛ فيقول في سورة النَّحل . **بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴿103﴾** ، ويقول في سورة الشعراء:﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿195﴾**، ويقول في سورة يوسف ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿1﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿2﴾** ويقول في سورة الرَّعد ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿37﴾**، ويقول في سورة طه ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿113﴾** ، ويقول في سورة الزمر ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿27﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿28﴾** ، ويقول في سورة فصِّلت ﴿**حم ﴿1﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿2﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿3﴾** ، ويقول في سورة الشُّورى ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿7﴾** ، ويقول في سورة الزُّخرف ﴿**حم ﴿1﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿2﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿3﴾** ، ويقول في سورة الأحقاف ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿12﴾** . إنَّ لهذه الآيات العظيمة الكثيرة ، ولهذا المتواتر في الإسناد ، والتِّكرار في الذِّكر بصيغ

جامعة متعدَّدة لنوع صلة القرآن بالعربية ؛ فهو : ﴿**لِسَانٌ عَرَبِيٌّ**﴾ . ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ . ﴿**حُكْمًا عَرَبِيًّا**﴾ . ﴿**لِسَانًا عَرَبِيًّا**﴾ قيمة جليلة حمَّالة دلالات راسخة توحي لكلِّ ذي لبٍّ أنَّ للعربية تصنيفًا ربانيًا خاصًّا في الاتساع والإلمام والشمول ؛ إذ جاء التنزيل لسانًا وقرآنًا وحكمًا عربيًّا. فهذه مِنَّة عظيمة كريمة من عظيم كريم عليم بعظمة العربية وقدرتها على حمل رسالة عظيمة لذا قضت حكمته بأن يكون لسانها عربيًّا ورسولها عربيًّا.

وإنَّنا لنؤمن إيمانًا راسخًا ثابتًا أن شهادة الله للعربية بالكمال وافية كافية لا تحتاج لما يعزِّزها ، وهو ما أكدَّه الرسول الكريم . صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . من باب الإقرار بفضل اللَّه عليه وشكره على نعمه بأنَّه أوتي جوامع الكلم ، مذكِّرًا بواحدٍ من أسباب تعظيم اللَّه لها ؛ ففي هذا القول دالٌ قويٌّ على أنَّ لغة الخطاب للرسول الكريم صلَّى اللَّه عليه وسلَّم المسخرة لتبليغ أعظم رسالةٍ وأوعى كتابٍ شمل أُمور الكون كلِّها ، من بدء الخلق حتى الآخرة ؛ هي الأكثر كمالاً ، والأقصى حدًّا يمكن لأي لغة أن تبلغه ، لتمامها وتفرُّدها بخاصية جوامعَ ما يُتكلَّمُ به ، ويُتَواصلُ بواسطته في الحياة الدُّنيا . إنَّ هذا لهو ذخر ثرٌّ عظيم يجب أن يعيه أبناء العربية بوضعه في المناهج الدِّراسية التي لزامًا أن تربط بين اللُّغة العربية وأبنائها من المرحلة العمرية والتَّعليمية الأولى ، بتوعيتهم وبملء أفكارهم بقيمهم وقيمتهم في الكون استنادًا لقيمة إرثهم . وتفتيح مداركهم على أنَّهم أولو فخر عندما ينتسبون إلى العربية وينطقون بها على عكس ما يحدث اليوم من تفاخر بالنُّطق والتخاطب والتَّعامل باللُّغات الأخرى التي هي في الأساس أقل ذخرًا لكنَّ أهلَها أولوها عنايتهم وحمايتهم فأعدَّوا لها كلَّ ما أتيح لهم ، وبحثوا عمَّا لم يتح وجلبوه وتقوَّوا به في شؤونهم كلِّها فكانت العولمة لقيمهم الخاصة على حساب الآخرين ، والمحاولات المتتالية لإزاحة اللُّغات الأخرى ، لإهمال آلِها لها.

إنَّ هذا الكسب المغدق هيبة وإجلالاً يفرض علينا استثماره لخدمة اللُّغة العربية ببناء صرح إكبار لها ، ومدِّ أواصر ثقة بينها وبين النَّاطقين بها ، مركِّزين على الصِّغار فهم الأكثر عرضة للجذب والانبهار بما يُعرضُ ويسوَّقُ لهم عبر الألعاب والمسلسلات الكرتونية والهدايا التي تُدسُّ فيه النَّوايا السيئة السَّاعية للإقلال من شأننا ، ومن ثمَّ شأن لغتنا ، بقصد إفهامنا أنَّ السوء في اللغة كونها . حسب زعمهم . لا تصلح لهذا العصر ، فقد ولَّى زمنها واندثر ، وأنَّه عصر علم وسرعة وهي بطيئة خاملة ، وأنَّ البديل جاهز يكمن في اعتناق اللغات الأخرى . كلُّ هذا ليشبَّ الجيل المُستهدَفُ مهزوم الانتماء الرُّوحي ، مهدور الوعي ، منزوع الثقة في كيانه .

والواجب الحتمي فعله هو الانطلاق في مشروع التوعية الذاتية والفكرية بما للغة العربية من قدرٍ وحضور ، متخذين ممَّا بين أيدينا من ذخر تمدنا به آياتِ القرآن عظيم الشأن المُنْزَلُ بها ؛ كونها الدليل على قوة لغتنا ؛ فإذا كان القرآن . ولا ريب مثقال ذرة في ذلك . ذا سموٍ ومكانة عالية لا تدانيها مكانة أخرى ، وإنَّه صالح لكلِّ عصر فإنَّ المنطق العقلاني يقضي بأن اللُّغة

التي نزل بها حتمًا وجزمًا تكون كذلك. وهو ما علينا أن ندخله في عقول أبنائنا وأهلنا ، وأن نشحذ به أفكارهم لينطلقوا طاقة وعشَّقًا ودعاة لها ، مزودين بما عَلِمُوه وعُلِّموه في المناهج الدراسية والمحاضرات في الملتقيات والنَّدوات من تبجيل للِّسان العربي بوصفه بالمبين ؛ لنرفع اعتزازهم بانتمائهم درجات فوق درجات ، ونحثُّهم على الافتخار بالعربية لغة وهوية ، الأمر الذي سيقود إلى انتصارهم في مقارعة كلِّ محاولات التقليل من قيمة اللُّغة العربية لغرض خلعها وإحلال بديل غير ذي صلة بهم مكانها ، وهو ما يعني اقتلاعنا من جذورنا ، ونزعنا من هويتنا التي هي العنوان الواضح لنا حاضرًا ومستقبلاً كما كان ماضيًا ، وإذا ما أمكنهم ذلك فإنهم سيستطيعون وبكلِّ يسر . لا سمح اللَّه ولا قدَّر. تحجيم فاعليتنا ، ثمَّ وأد وجودنا.

. كسبُ العقلِ والفكرِ:

من يقول بأنْ لا وجود ولا تأثير للعقل والفكر العربيين في العصور كلِّها ؛ فقد اختار أن يتحمَّل وزر عقوق الحقيقة ، والبرِّ بالجحود ، وفي المقابل فإنَّ من تجرَّأ على قول إنَّنا قد سخرنا هذا الكسب في خدمة لغتنا العربيَّة ؛ فإنَّه مستهزئٌ بالعقول ، منافق للواقع.

لكم نتوق لأنَّ نكون كما نتمنى ونرجو ، لكنْ : هل ما يطلبه المرء يدركه ؟!! وهل نيل المطالب بالتمني؟!! وهل تسير الدنيا بقاعد؟!! ... لو حشونا البحث كلَّه بأسئلة مماثلة ، لو كانت صيغ متعدِّدة متنوعة ؛ فإنَّ الإجابة ستنحصر في صيغة واحدة هي النَّفي ، تقابلها صيغة واحدة للمعالجة لا تعدو أن تكون هَبَّة قويَّة وإعدادًا مُحْكَمًا تشهد استدعاءً عاجلاً لكلِّ مكاسبنا الماديَّة والمعنويَّة.

ولا يمكننا حين الحديث عن العقل والفكر عند العرب ألا نذكر الأولين منَّا ممن دونت أسماؤهم في سجلات التَّاريخ ، وشُهِدَ لهم بالحكمة والكفاءة والرؤية الثَّاقبة والرأي الراجح في الكثير من المسائل الفكرية والعلمية ذات الأهمية لعمار الكون . أسماء " لم يطاولها في الغرب أي من الأسماء المعاصرة لها : جابر بن حيان ، والكندي ، والخوارزمي ، والفرجاني ، والرازي ، وثابت بن قرة ، والبتاني ، وحنين بن إسحاق ، والفارابي ، وإبراهيم بن سنان ، والمسعودي ، والطبري" (**د. مقبولة مسعود علي ، 2010م : الفعل الإنساني وأثره في قيام الحضارة وانهيارها)** وغيرهم من الأعلام الأجلاء ، كابن سينا ، وابن النفيس ، والحسن بن الهيثم ، والكواكبي ، وابن خلدون ...

وحيث إنّنا في صدد تناول قضايا معاصرة ؛ فإن الاستشهاد الأمثل لجدوى طرحنا يكون بأعلام من الخلف كون هؤلاء . مع ديمومة صلاحية أفكارهم وما أنتجت عقولهم . ينتمون لأعصر سالفة ، ونحن بحاجة لتأكيد أنَّ الأمة منجبةٌ ولود ، لذلك وجب أن نعلِّل بالعلماء والمخترعين والمفكرين المجايلين ؛ لأنَّ القضية التي نتطرَّق إليها تستلزم انتقاء السبل والوسائل المرتبطة بها حدثًا ؛ إذ إنَّنا نسعى من خلالها للوصول إلى غاية ترتبط بوعاء زمني عصري ،

مع ضرورة مراعاة الحالة النفسية ، والظروف المحيطة للمستهدفين الذين يميلون إلى كلِّ ما هو حديث ، ويأخذون من القديم مواقف تكتنفها الريبة.

وإذا قمنا باستعراض لبعض هذه الأسماء وما قدموه من مخترعات نجد أنَّ المسمَّى والبراءة قد خُطَّا لغير العرب وبغير العربية ، وهذا في ظرفنا الذي ارتضيناه لأنفسنا أمر مفروض أو شبه مفروض على أقل تقدير وبألطف تعبير ؛ لأنَّ لغة الآخر هي السائدة المتعامَل بها عالميًّا ، وهو ما يجعل المقومات كلَّها يرتبط بعضها ببعض لتشكِّل الأثر القوي الفاعل المغيِّر لنظرة الغير لنا ، لكن تظل الجرأة والإقدام حافزان مهمان يشكلان الخطوة الأولى القابلة للتكرار المولِّد للظفر بالغاية ، والغاية أن نستثمر حصاد عقول مفكرينا ومخترعينا ، فندونها بأسمائها العربيَّة لتعمَّ وتعرف بها نطقًا وكتابةً ، وهذا ما يحدث . بالضبط . مع لغة الآخر ، حيث نستخدم جميعًا مسميات صناعات ومخترعات الغرب والشرق بلغاتها : كمبيوتر . لاب توب . كاميرا . هيلكوبتر . تويوتا . فورد . لادا . آربجي . جينز . كت .... عوضًا عن أسماء الأدوية وما في حكمها. وهذا من حقهم ؛ فلماذا لا نحذو حذوهم ، فنرقى بلغتنا ، ونحفظ حقنا.

وتتَّسم الأفكار العربيَّةِ المنشأ بأنَّها قويمةِ المقاصدِ ، بيِّنةِ النَّفعِ . وقد أسهمتْ ولا تزال تَسهمُ في بناءِ المجتمعِ الإنساني ، لكنَّنا نغفلُ عن تسخيرِ حملة العقول ، وما أنتجتْ ، لخدمةِ العربيَّة ونشرِها ، ولعلَّ تسجيلَ أفكارِهم وبراءاتِ اختراعاتهِم بالعربيَّةِ لتكونَ اللُّغةُ العربيَّةُ في خانةِ المنقولِ عنها لا المنقولِ إليها ؛ من أَجزلِ الأعمالِ التي نبرُّ بها لغتنا ؛ إذ بذلك يكونُ الآخرون بحاجةٍ لفقهِ العربيَّةِ كي يعلموا المهمَّ المفيدَ لهم مما هو مكتوب بها. ومن بعض علماء العصر من العرب نذكر منهم " (نقلا عن موقع جمعية اقرأ لدعم التعليم في المجتمع العربي http://www.eqraa.com) خمسة من أبرز الأسماء:

ـ **أحمد زويل**: العالم الكيميائي المصري الأصل الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء لعام 1999، و**فاروق الباز** العالم المصري الأصل الذي عمل مع وكالة ناسا للمساعدة في التخطيط للاستكشاف العلمي للقمر ، كاختيار مواقع الهبوط لبعثات أبولو و تدريب رواد الفضاء ، و**شارل العشي** عالم الفضاء اللبناني الأصل ، الذي يشغل منصب مدير مختبر الدفع النفاث المسؤول عن تطوير تقنيات الاندفاع في الفضاء الخارجي للمركبات الفضائية في وكالة الفضاء الأميركية ناسا ، ونائب رئيس معهد كاليفورنيا التكنولوجي، وهو بروفيسور الهندسة الكهربائية وعلوم الفلك فيها ، و**الدكتور زغلول النجار** العالم المصري ، وهو في علوم الأرض (جيولوجيا) ، و**حسن كامل الصباح** المخترع اللبناني، الذي تنسب إليه عشرات الاختراعات التي سجلت في 13 دولة منها: الولايات المتحدة الأمريكية، وبلجيكا، وكندا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وأستراليا، والهند، واليابان، وأسبانيا، واتحاد دول أفريقيا الجنوبية، بالإضافة إلى العديد من النظريات الرياضية في مجال الهندسة الكهربائية.

لـو سـخرنا سـمعة هـؤلاء وسـيرتهم لتكـون أعمـالهم سـبيلاً لـتعلم العربيـة لترجمتهـا للشـعوب الأخرى ؛ لكانوا سفراءَ للنوايا الحسنة لنشر اللُّغة ودعمها بما ينعشها حضورها ويقوِّيه في المحافل العلمية ومن ثمَّ الشَّعبية. وليست المنجزات العلمية التي برع فيهم سواهم من الأوساط العمرية المختلفة أقلَّ شأنًا في ذلك . وللوقوف على بعض العينات وسوق ما جدَّ من اختراعات الأساتذة والطلاب العرب في هذا العصر ، التي أثبتت أنَّ لها قيمتها في التطور الإنساني ، بما توفره من خدمات للإنسانية نقتبس مما نشر على شبكة المعلومات الدَّولية الآتي :

. الطالبة المصرية عزة عبد الحميد فياض تخترع طريقة جديدة لتوليد الوقود الحيوي.

ـ الأستاذ الدكتور محسن عبد العال الأستاذ بكلية الهندسة جامعة الأزهر و معه فريق من الطلاب في ابتكار طريقة جديدة لإعادة حركة الطمي الراكد في بحيرة ناصر إلي طبيعته للحركة في مجري النهر كسابق عهده.

. تمكنت الطالبة المصرية بكلية العلوم، جامعة سوهاج ، عائشة مصطفى من ابتكار نظام خاص بقوة الدفع للمركبات الفضائية المستقبلية، دون الحاجة لاستخدام قطرة واحدة من الوقود. وهو ما يساعد على التخلص من صواريخ الدفع التقليدية، والاعتماد على توليد الطاقة باستخدام جهاز من الأسطح والأشياء في الفراغ عن طريق قوة دفع "كازمبير – بولد " التي لها تأثيرات في حجب كمية من الطاقة والاحتفاظ بها

. الطالب المغربي عبد الله شقرون يخترع محركًا دوارًا مربعًا **(نقلاً عن موقع (المخترعون والاختراعات) http://inventorshere.blogspot.com)**

ـ البروفيسور السعودي : محمد بن حمود الطريقي يخترع مفصل كاحل دوّار قابل للانغلاق لطرف اصطناعي ذي بنية تجميعية للبتر تحت الركبة كما اخترع جهاز التحليل الكمي لعدم وثاقة الركبة البشرية في الجسم الحي دون التعرض للأنسجة . وهو جهاز يمكن استخدامه لتحديد دقيق وموثوق لعدم وثاقة الركبة بشكل كمي عبر قيامه باختبارات وثاقة أربعة للركبة دون التعرض لأنسجة الجسم. **(نقلاً عن موقع علماء العرب http://almhml.blogspot.com)**

لا يمكننا المبالغة والقول : إنَّ هذا الطرح قابل للتحقق ، أو القبول ، **أو إحداث أثر مرضٍ تمامًا فيما** ننشد ونصبو إلى تحقيقه ، لما نعلم بما يتمتع به المقابل من قوة ، ومن اتساع في الهوة بين الحال في الواقع وما ندعو إليه . علينا أن نقرَّ بهذا مقابل الاعتراف بأنَّنا السَّببُ في ذلك من حيثُ ديمومة الشعورِ بضمور سيادتنا المعنوية ، وأن لا قيمة للمُخترَع الذي نقدِّم ما لم يُتَدَاول باللُّغة الأجنبية : الإنجليزية تحديدًا. وهذه هي الحقيقة التي علينا ألا نسعى لإلغائها بقدر ما نسعى لموازنتها بحقيقة أنَّنا أولو شأن أُخِذَ يومًا منه وعنه ، وبلغته الأم . وهكذا ، وبالمحاولات

المتواترة المكلَّلة بالثقة و التَّصميم سنفلح بإذن اللَّه في الدَّفع بلغتنا باتجاه قدرها الحقيقي عبر ما عندنا من كسب.

وعلينا أن نُتوِّج كسب العقل بأن نمعن الفكر فيما أتيح لنا من الفكر الإنساني ، فنحن مطالبون بالاستغلال الأمثل لمواقع التواصل الاجتماعي التي هي السائد الآن في العلاقة والتأثير والأثر وأن نحرص عبرها على إكساب من نلتقطهم منها ، ونتواصل معهم بأن نحاول إدخال مفردات من اللغة العربية في ثنايا الحديث . هذا في البدء . ثم نشرع في سحب الطرف الآخر إلى حيث نجعل لغة الحوارات والدردشات والمراسلات قسمة بين لغتنا ولغة الطرف الآخر ، وحبذا لو توصلنا إلى تعليمه إياها.

ولعله ونحن نشدُّ وثاق رباط التنوير والتَّحديث ألا يدفعنا الدفق الحماسي للُّغة العربية باحثين عمَّا يكفل لها حيويتها ألا يغيب عن فكرنا أن نبادر بوعي وإدراك ناضجين لتلمس سبل ربط اللهجات المعاصرة بأصولها في العربية ، بانتهاج الحصر العام لمُؤتلِفها من المفردات العائدة إلى جذر لغويٍّ ، ومن ثمَّ إدخالها إلى ميدان الفصحى ، محققين بذلك إبراز صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى وإثباتها ، ببيان المشترك اللفظي بينها باعتباره دالاً قويمًا على صحتها وصلاحيتها لأن تكون من الفصحى . وهذا أمر قائم بشهادة العصور كلِّها ؛ إذ " إنَّ طبيعة التطور الذي يهز المجتمعات لا بُدَّ وأن ينعكس على لغتها فيحل ألفاظًا محلَّ ألفاظٍ ، وتراكيب وجملاً محلَّ غيرها ، كما أنَّ اتساع المجتمع وتفرُّعَه وانشعابَه سيوجِد لهجاتٍ ولغاتٍ تتصل بالأصل وتدل عليه ولا تنبتُّ عنه بشكل قاطع" **(د. محمد أديب عبد الواحد جمران ، 2000م : معجم الفصيح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية)** . من شواهد ذلك :

اللفظ	البلد	المعنى في اللَّهجة	المعنى في اللُّغة	المرادف اللغوي
توَّا . هالوقت	ليبيا	حالا . الآن	نفسه	للتو . هذا الوقت
توَّا .	شرق الجزائر	حالا . الآن	نفسه	للتو هذا الوقت
توَّا	السودان	حالا . الآن	نفسه	للتو هذا الوقت
دي الوقت	مصر	حالا . الآن	نفسه	هذا الوقت
هسَّع	العراق	حالا . الآن	نفسه	هذه السَّاعة
دا الحين	قطر . السعودية	حالا . الآن	نفسه	هذا الحين
هلَّا	عدد من دول الشَّام	حالا . الآن	نفسه	هذا الوقت . الحين
واجد	ليبيا	كثيرًا	نفسه	واجد: فاعل . وَجُود: فعول
وايد	دول الخليج	كثيرًا	نفسه	واجد: فاعل . وَجُود: فعول

فهذه كلُّها ألفاظ مستخدمة في لهجات العرب حديثًا ، يجمعها أصل لغوي مشترك . فقياسًا على ما نعلمه من أنَّ اللُّغة العربية هي جماعُ لهجات قريش ؛ فلا ضير من أن نقف وقفة فكر عند

هذه " الأنماط في الكلام التي يجيزها الاستخدام العام الراسخ . يجب أن نضفي عليها الشرعية، حتى لو كانت مناقضة للقواعد وللقياس ضمن اللغة الواحدة " (**روي هاريس وتولبت جي تيلر ، 2004م : أعـلام الفكـر اللغـوي / ج1**) ؛ فكيـف لا والمفـردات المسـتخدمة فـي لهجتنـا ذات أصـول وعلائـق بالفصـحى . وتدخل نتيجـة عملنـا هذا فـي نطـاق دعم اللُّغة وتُجديدها وزيادة معجمها بحصر مفردات اللَّهجات ذات التَّقارب في المعنى ، وذات الأصل اللُّغوي الفصيح ، ثمَّ تضاف إلى الفصحى وتدخل المعجم اللغوي وهذا . دون شك . بالإمكان وتمليه الضرورة اللُّغوية والاجتماعية .

وهناك من المفردات المستخدمة في لهجات المجتمعات العربيَّة بكثافة ، وبصيغ متعدَّدة ، لكنها متقاربة متشابهة في النُّطق والكتابة ، ومقاربة للأصل اللُّغوي المشتق منه اللفظ اللُّهجوي. ونسوق . على سبيل التمثيل على ذلك . مفردة (دائمًا) مع بيان مقارباتها من مفردات اللَّهجة في بعض المجتمعات ؛ وبيانها كالآتي :

اللفظ	**البلد**	**المعنى في اللَّهجة**	**المعنى في اللُّغة**	**المرادف اللغوي**
دايمن	مصر	باستمرار (على طول)	نفسه	دائمًا
دائما	العراق	باستمرار (على طول)	نفسه	دائمًا
ديما	ليبيا	باستمرار (على طول)	نفسه	دائمًا
ديمه	سوريا . الأردن	باستمرار (على طول)	نفسه	دائمًا

. المُنتَجُ العربيّ

إنَّ الاعتماد على التَّقنية فيعصرنا وتحريكها لأهله كمًّا وكيفًا ؛ واضحة للعيان لا تحتاج إلى دليل أو برهان ، وإنَّه لأعمى بصر وبصيرة من يظن غير ذلك ؛ فالتَّقنية قبل ، وبعد ، وأمام ، وخلف، وجنب كلِّ شيء في حياتنا ، ولم تقف عند اختصاص بعينه ، أو تتناول شيئًا دون آخر ، بل سَرت في كلِّ أمر ، ومن ذلك الاتصالات . لقد تعدَّدت وسائط الاتصال والتَّواصل لطرح الرؤى والأفكار ، وحشد الدَّعم في كلِّ شأن ، وهو ما جعل الإعلام قوة ضاربة وسلاحًا ماضيَ الأثر ، يُعلى من وما أراد ويلج بمن وما لم يرد بواطن الحضيض. والخِيَرةُ لمن أجاد توظيفه ؛ فأحسن استغلاله لبيان قَدره وقدر ما يعنيه ، ومن ذلك اللُّغة . ونحن العرب لم نستفد بعد من هذه التَّقنية (الإعلام المرئي والمسموع وشبكة الاتصالات الدَّوليَّة : المقروء منها والمسموع) لفرض لغتنا العربيَّة لغة خطاب وتواصل خارج إطارها الجغرافي والمجتمعي كما هو واقعُ غيرها كالانجليزية ، والفرنسيَّة . وهذا راجع إلى أنَّ أهلها يولون الاهتمام الأكمل المطلوب للغتيهم ، بتأسيس أرضيات انتشار لألفاظهما ، عبر تعميم المنجز الذي يحتاجه الآخرون بأحرفهما كأجهزة (الكمبيوتر وملحاقاتها : كيس . ماوس . كي بورت . برنتر . سي دي . فلاش...).

ليست الحاجة لرعاية اللُّغة أدعى وألزم من وقتنا الراهن ، كونه زمن الغزو الفكري والثَّقافي ، الأمر يستوجب استنهاض الهمم للبحث عن الكيفية الأقدر والأنجع لتحقيق العولمة للغتنا ، وهو ما يعني أهميَّة تطوير فكرنا واستثمار العقل العربي في الصِّناعة والابتكار ، وأنَّ نطلق على كلِّ مصنوع أو مبتكر أو منتَج اسمًا عربيًّا خالصًا . على غرار ما هو واقع وشائع فعلاً في البلاد العربية كلِّها . من مسميات للمُصَنَّع المُستعمل من الملبوسات: الجلديَّة والقطنيَّة والصوفية ، وما لها من خصوصية عربيَّة ، وكذلك الأحذية والأغطية ، وبهذا نفرض تداول المسمَّى العربي بتداول السِّلعة التي تحمله ، كأن نكتب على الثَّوب العربي الذي نصنعه . وهو لباسنا العربي الخالص . اسمه باللغة العربية (ثوب) وكذلك المسميات المرادفة له حسب المتعارف عليه في لهجة كلِّ قطر عربي مثل : دشداشة . جلابية . إزار . جلباب . سروال .. إلخ . وكذلك (شماغ . خمار . خف . قفاز . عباية) ، وأن نزين ما يحتاج منها للتزيين بالحروف أو العبارات المكتوبة بالعربية ذات الصِّلة بثقافتنا وقيمنا . أسوة بما يفعل المصدرون لنا من الدول الأجنبية من كتابة لأحرف وكلمات بلغاتهم ، مع الفارق في نوع العبارات والغرض منها . وعلينا أن نروِّج لهذه الصِّناعات ، بإقامة المعارض في الدول غير النَّاطقة بالعربيَّة ، وأن نحرص الحرص البليغ على نقلها وبثِّ فعاليات هذه المحافل التَّسويقيَّة في وسائط الاتصال كُلِّها ، ولزامًا أن نلتزم بإبراز الاسم العربي للمُنتَج الكتابة عليه في علامة التَّصنيع ، ونطقًا في تعاملات التَّرويج والبيع ، وألا نجنح لذكر الاسم باللفظ غير العربي تسهيلاً لإفهام المشتري فحينها تكون غاية الربح هي الأهم من صون اللُّغة، وفي ذلك ظلم متعمَّد للسان العربي المبين ، بل الواجب فعله حين نعرض المنتج ، ونقوم بالدعاية له ومن ثمَّ في التَّداول لحظة البيع لربطه في ذاكرة المشتري الأجنبي باللفظ العربي ذاته ؛ أن نتعمَّد ألا نكتب أو ننطق بأي لغة أخرى ، ولو كنَّا نجيدها ؛ لأنَّ هذا المخاطب (المشتري) حالما يعود إلى بيته سينطق اسمه العربي أمام أفراد أسرته ، حيث إنَّه لا يعرف له اسمًا غير ما سمع ، وبخاصة إذا كان من المصنوعات ذات الخصوصية الثَّقافية العربيَّة . وربما سيفعل ذلك من باب المداعبة لهم ، فطبيعة النَّفس البشرية واحدة . وسيكون هذا . على الأجلين الأدنى والمتوسط . في صالح العربيَّة.

ولا تقلُّ المنتجات الزراعيَّة والحيوانيَّة في القيمة والفائدة عن سابقتها في نشر اللُّغة العربية والمحافظة عليها ؛ فالأصناف الزراعية كثيرة كالتُّمور ، والفواكه ، والخضراوات ، والبقوليات ، والبن ، والكاكاو ، والمطَّاط .... وغيرها . والحيوانيَّة كالأغنام والإبل والخيل والأبقار وما يؤخذ منها من أوبار ، وأصواف وجلود وألبان . إنَّ لكلِّ منها اسمها المتعارف عليه باللَّغة العربية بين أهلِّها. وهو ما يجب أن يكتب عليها ويعرَّف ويباع به نطقًا وكتابة.

ويجيء المخزونُ الباطنيُّ في الأرضِ العربية في أولِّ قائمة الخيرات التي حبا بها الله تعالى الدول العربية . وأن أكثرها وأعلاها قيمة وطلبًا هو النفط ، ثمَّ الغاز . وقد ترتَّب . تأسيسًا على

هذا الكمِّ وهذه القيمة . أنْ جُعِلَتْ أسٌّ بِنيات القدرة ومن ثمَّ القوة لأي دولة أو أمَّة سخرت ذلك واتخذته سببًا لقوة نفوذها . وليس بخافٍ على أحدٍ ما في ملكيَّةِ البلادِ العربيَّةِ من ثروات كبيرة من النَّفط والغاز ، وما عندها من ثرواتٍ معدنيَّةٍ أخرى من حديد ، وفوسفات ونحاس....وغيرها من الخاماتِ ، وكلِّها يطلبُها الآخرون ، بل هم في عَوَزٍ شديدٍ لها ؛ فلماذا لا نبني بها ومنها قوةً اقتصاديةً كبرى تدعمُ نشوءَ عولمةِ اللُّغةِ العربيَّة ، ومن ثم عالميتها ؛ فنربط نَهَمَ الغيرِ في الشراءِ منَّا والبيعِ لنا باللُّغة العربيَّة ، وأولُّ خطوات الرَّبط أنْ نجعل اللغة العربية هي لغة التخاطب والتعاقد ؛ فتكتب العقود . وهي ضخمة مغرية . باللُّغة العربية الأمر الذي سيجعل الآخر مضطرًّا لدراسة اللغة العربية وتعلمها وفهما ليعلم ما في العقود ، ولكي لا يُسبَقُ من الأطراف الأخرى المتنافسة معه على الظفر بعقود الشراء ، والتنقيب على النفط والغاز والذهب والفضة والمعادن الأخرى ، تمَامًا كما نفعل نحن ، فنحرص على تعلُّمِ اللغتين : الإنجليزية والفرنسية ، لنعلم حقيقة وبيانات ما نشتري من صناعات الكترونية وطبية وميكانيكية وحربيَّة ... إلخ

وتفعيلاً لآليات البناء ، وتقعيدًا لمنهجية الفكر والحركة ، لخلق أجواء طبيعية خصبة لإنبات علاقة طيبة باللُّغة العربيَّة ؛ فإن الأمر يتطلَّب تركيز المساعي على توثيق الصلة بين أقسام اللغة العربية والمجتمع ؛ لأنَّنا بحاجة فعليَّة ماسة لمدِّ أواصر التَّواصل بين مؤسسات المجتمع وأفراده ، ومنها المؤسسات التَّعليميَّة بمراحلها المتعدِّدة دون إغفال لقيمة أي مرحلة : ابتدائية كانت أو جامعيَّة ؛ فإذا ما ربطنا بين التِّلميذ واللُّغة واستطعنا جعله يتذوقها ويفاخر بالنَّطق باللفظ اللُّغوي سليمًا دون الاتكاء على اللَّهجة ، أنشأنا حميمية بينهما بخاصة أن الآخرين المستمعين له من الأهل وسواهم ، سيطربون لذلك ويتندرون به ، وهو ما يخلق حراكًا لُغويًّا سيتغير . لاحقًا . من حالة التندر إلى وضع الرسوخ ؛ فيحلُّها النَّاس محلَّ اللَّهجة تلقائيًّا كون الألفاظ الفصحى ستغدو دراجة على الألسن كما كانت اللُّغة في عهدها الأول. وهذه . بالدرجة الأقصى . مهمة ووظيفة أقسام اللغة العربية بالجامعات العربيَّة التي لا نكاد . للأسف والخجل لذلك . نجد فيها كلية قائمة بذاتها للغة العربية إلا في أضيق نطاق إذ لا تتعدى كلية أو اثنتين في الجامعات العربيَّة كلِّها . والواضع القائم : يُكتفى بمنح صفة قسم للُّغة العربيَّة الأساس والأصل.

وبالانتقال من المرحلة الأولى إلى المراحل التَّالية حتَّى الجامعية فالعلاقة بين أقسام اللُّغة العربيَّة في كلِّ قطرٍ عربي والمجتمع الحاضن لها ، لزامًا أن تكون وطيدة طيبة بخلق جوٍّ من الألفة والتَّكامل والانسجام ، بتثقيف أهله بأصول اللُّغة ، وربطها بمعاملاتهم في العلاقات الاجتماعيَّة والتِّجارية ، وإفهامهم أنَّ يتكلموا الفصحى في سياق اللَّهجة ، الأمر الذي يجعلها سهلة المطلب . يتمُّ ذلك عبر الدعوة إلى الندوات والمحاضرات والأمسيات وكلَّ المحافل التي تقيمها أقسام العربية ، وتكون فيها اللغة حاضرة . إنَّ ربطهم بأجواء الفصحى يجعلهم يتخاطبون

بها في المنزل ؛ فيلتقطها الصِّغار فتعلق في ألسنتهم ، وهذه هي إحدى أهم مهام الجامعة التي ترتكز أهم قيمها على خدمة المجتمع ، ونشر الوعي بين من هم في محيطها .

. التَّعبيرُ والتَّصوير الفنِّيُّ:

ما الحرف إلا الصوت الذي به يتم التواصل وتُعرَف لغة الخطاب ، وهو الخامة التي تُدوَّن بها الكتاباتُ كلُّها العلميَّة منها والأدبية لتصل إلى الشرائح كلِّها في عصرها والعصور التَّالية له . ومن ضمن الكتابات : المؤلفات الإبداعية . ومن ضمن الشرائح : الأطفال من آل اللُّغة العربية ، ومن غيرهم من غير العرب بمختلف فئاتهم العمرية ؛ وهو ما يوجب اتخاذ التَّعبير الفنِّيِّ: وسيلة تُبرُّ الغاية النبيلة : (نشر اللُّغة العربيَّة وتحفيظها وحفظها). ولقد اصطلح على تسمية الخطاب الفنِّي الإبداعي الموجَّه إلى الصِّغار بأدب الأطفال. وشهد هذا الشِّقِّ من الأدب حضورًا في الأنواع الأدبيَّة كلِّها : القصة . المسرحية . البرامج والمسلسلات المسموعة والمرئيَّة . ونستحضر في هذا المقام برنامجًا أدبيًّا علميًّا يستحق الذِّكر والإشادة به لأنَّه كان حمَّالاً لنفع كبير عاد على اللُّغة العربيَّة بخير ؛ إذ إنَّه قدَّمها في قالب شيِّق يجمع بين التَّعليم والمرح ، لاعتماده على الحكاية والطرفة والفكاهة ؛ إنَّه برنامج : افتح ياسمسم.

لا جدال في أنَّ أدب الأطفال ذو نفع عظيم بعامة ، ومن منطلق هذا النَّفع ندرجه في قائمة الوسائل الداخلة في إعداد العُدَّة اللازمة لبقاء العربيَّة دائمة الحضور، رفيعة المكانة ، بعيدة عمَّا يُراد من الاندثار ، ويحاك لها من خطط الطَّمس والإحباط . وأن نتقن تلقينها لأبنائنا لتحصين هويتهم وأفكارهم حيث إنَّ " اللغة التي يستخدمها الشخص تشكل طريقته للاستجابة للمنبهات المختلفة " **(د. سعد جلال ، د.ت : علم النفس الاجتماعي)**

يقينًا أنَّ المسرح منذ المعرفة الأولى به قد أصبح واحدًا من أساسيات بناء الشُّعوب وتوجيهها ، واللُّغة العربيَّة بحاجة إلى استغلال تأثيره في المتلقي ، ولن يكون أو يحدث هذا التأثير في المجتمع إلا بتكثيف المسرحيات الموجهة للأطفال ، والمحببة إلى نفوسهم عبر شحنها بالمفردات اللُّغويَّة السهلة السَّلسة في حواراتها ومشاهدها المنطوقة والمعبَّر عنها باللوحات والمجسمات. فتُدمج روح المرح بروح اللُّغة فتسري الحوارات على ألسنة الأطفال لتنتعش لغة تواصل بينهم ، ومع التِّكرار تكون هي الوسيلة الدَّارجة للتحاور بينهم ، وبذلك تتخلَّق ألفة بينهم وبين اللُّغة العربية ؛ فيقبلون على دراستها ومن ثمَّ التخصُّص فيها ، على عكس ما هو قائم الآن من عدم إقبالٍ ، ومن عزوفٍ ، وهروب من دراسة اللُّغة العربية ، واعتبارها مادة جافة غير محبوبة من التَّلاميذ والطلاب ، وهو ما جعل بعضهم يصفونها . خاصة النَّحو . بالعقدة.

ومن الآداب الأخرى الفاعلة : أدب القصة والرواية التي كتبها ويكتبها كثيرون لهم شأنهم الإبداعي ، كما يكتبها المبتدئون من أدباء العرب . ويفيد أن نذكر أن هناك . ولعقدة نقص . من يبادرون إلى ترجمةِ أعمالِهم الإبداعيَّةِ العربيَّةِ إلى اللُّغاتِ الأجنبيَّةِ بأنفسهم متباهين مفاخرينَ

بذلك ، والأدهى أن بعضهم يلجأ إلى التحايل فيطلبون ممن يصادقونهم على شبكة المعلومات الدولية . مثلاً . ممَّن يقيمون في الدول الأجنبية أن يترجموا إلى لغاتها ما كتبوا من قصص ، أو شبه قصص ؛ ليكتبوا في سيرهم الذَّاتية العبارة الآتية : قاص مشهور لي أعمال مترجمة إلى عدد من اللغات العالمية : الإنجليزية والفرنسية والإسبانية ... في حين أنَّ الصَّوابَ في أن نتركَ العمل يفرض نفسه أولاً ، وأن نترك غيرَ العربِ هم من يطلبون ترجمته إلى لغاتهِم ؛ ففي ذلك بيانٌ لقيمةِ العملِ ، ومقدار احتياجهم إليه ، وتأثيرِه فيهم بالإضافة إلى إسداء خدمة للُّغة العربيَّة .

ولقد ذاع صيت كثير من العرب في فن الرِّواية ؛ فترجمت أعمالهم إلى لغات عالمية عدة ، كروايات الروائي الجزائري بشير مفتي ، والروائي الليبي إبراهيم الكوني ، والروائي السوداني : الطيب صالح ،والروائي المغربي الطاهر بن جلون ، والروائي الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل ، والروائي المصري يوسف زيدان ... وغيرهم كثير من الجنسين . إن هذا . دون شكٍ . كسب كبير للُّغة العربية إذ يؤخذ عنها . ولعموم الفائدة نتوق إلى أن يُعنى هؤلاء بالحرص على التَّحدث باللُّغة العربية في المحافل الدَّولية ، وفيما يكون لهم من لقاءات ، ليترجم لهم في تعبير صريح عن احترام اللُّغة العربية ، وصون وجودها حتَّى في حال توفُّر القدرة على التَّحدث بغيرها ؛ إذ نعطي بعدًا قويًّا نافذًا للهوية وللشخصية العربيَّة كتابة ولفظًا ، وبأسلوب ليِّنٍ حكيم ، كي لا نقع في المغالاة فيشعر الآخر أنَّنا نزدريه ، ونتعالى عليه.

وتُعدُّ الصُّورة من أبلغ وسائل الإيضاح ، كونها تُمثِّل الشَّاهد الماديِّ لما يُراد له أن ينفذ إلى العقل والفكر والعاطفة عبر حاستي البصر والذوق ؛ فينشأ على إثر ذلك " ربط بين الحوارية البصرية ونشوء الصلات الفعلية الانفعالية ممثلاً بالشعور الذي ينبعث داخل الفرد في تخيله للصورة الفنية كخبرة جمالية متكونة من مشاعر وانفعالات وحالات ذهنية أخرى كالشعور بالاكتشاف والتأمل والفهم والتغير المعرفي والدهشة والاهتمام ، والتوقع والشعور بالغموض والرغبة في الإطلاع (الفضول المعرفي)" **د. أحمد بن عبد الرحمن آل أحمد الغامدي ، 2007م : ثقافة الصورة الفنية وأثرها الاجتماعي والتربوي**).أوليس هذا ما نصبو إليه؟

إنَّ ما نبصره بالعين يتلقفه الذوق بالاستحسان والقبول إذا كان جميلاً أنيقًا ، وبالاستهجان والرَّفض إذا كان قبيحًا مُنفِّرًا . وتتحكم مقدرة المُصوِّر ، وجماليات المُصوَّر في جذب المتلقي والبوح بإعجابه بالمرئي ، ثمَّ التَّعالق فالتَّعاطي معه . ولو كان هذا المُصَّور: رسمًا أو نحتًا . أقصد النَّحت الفنِّيِّ لا اللُّغوي . هو (الحرف العربي) بما له من شكلٍ أنيق متناسقٍ متجانس ، يصلح لإبراز لوحة فنيَّة ذات سحر وبيان وإقناع . كلُّ هذي العناصر وجَّهت بعض ذوي المَلَكة الإبداعية إلى الحرف العربي باعتباره مادة خام ذات أبعاد جمالية وروحية يمكن تطويعها لإنجاز أعمال فنيَّة أخاذة بالعيون والألباب . من هنا ، ومن عصور خلت ظهر الاهتمام بأناقة الحرف العربي وبإمكانية خلق تآلف بين حروفه ، وبناء متجاورات جمالية من كمٍّ من الحروف، أو من

التَّراكيب اللُّغوية : كالآيات والحكم والأمثال والأبيات الشِّعرية . ومن الكمِّ الهائل المنوَّع من أشكال وزخارف الخط العربي نختار هاتين اللوحتين :

فأي ذوق يأبى الاستجابة لنداء الرَّوعة والجمال المشِّع منهما ، الصَّادر عنهما ؛ إذ ينثر التَّناسق المسيطر على كامل المساحة كمًّا من الحسن ، يولِّد حالة وجدانيَّة عند الرَّائي لتجعله ينجذب إعجابًا وتأثرًا ، فيشرع في طرح التساؤل تلو التَّساؤل عن مضمونهما ، وبم وكيف كتبا ؟! فإذا أفلحنا فيما قدمنا عليه من استخدام للتَّصوير الفنيِّ على اعتباره عامل تأثير نفسي في المتلقي المستهدف ؛ فإنَّنا سنجده ذا فاعلية كون النَّفس البشرية تُقبِل على كلِّ جميل . ونحن العرب . من منظور الإمكانات الكثيرة الكبيرة سالفة الذكر . لا يعجزنا القيام بذلك وفي كلِّ مكان ، حيث إنَّنا ممثلون . سياسيًّا . في كلِّ مكانٍ ؛ فلكلِّ دولة عربية سفاراتها وملحقاتها ومؤسساتها في كلِّ دولة في القارات السِّت ؛ فالأجدرُ بنا لنخدم العربيَّة وندعم حضورها أن نجعل بريق حروفها يشع في كلِّ مكان ، ليخاطب كلَّ نفس ، من خلال إطلالات دائمة ومتجدِّدة في حلل من التَّشكيلات واللوحاتٍ والمجسَّماتٍ الفنيَّةٍ الجماليةٍ ، كأن نزخرف واجهات السَّفارات برسم حروف عربيَّة بأشكال مميزة لافتة للنظر ، وأن نشيِّد الأسوار بأحجار مميزة كحجر الصَّوان . مثلاً . ونشكِّل من الأعمدة الدَّاعمة لواجهة السياج لوحة فنية تحمل اسم الدَّولة باللُّغة العربيَّة . والشيء نفسه نفعله في المؤسساتِ التَّابعةِ لنا في كلِّ قُطرٍ . كما يمكننا أن نمارس الأمر ذاته ، وبأكثر توزيع وتنويع

في أحيزٍ كبيرةٍ كثيرةٍ ، نحرصُ على امتلاكِها في الدَّول الأخرى ، ونقوم بتحويلِها إلى حدائقَ عامةٍ ومتنزهاتٍ مفتوحةٍ يرتادها الآخرون ، ثمَّ نوكل إلى بعض النحاتين المهرة مهمة نحت حروف الأبجديَّة العربيَّة باستخدام الخشب الفاخر والبلور والرخام ، ثمَّ نصفُّها في تسلسلٍ زخرفي ، بدءًا من أول حرف حتَّى آخر حرف في شكلٍ هندسي جذَّاب ، على أن نوظِّفُ مرشدينَ متمكنينَ ، يشرحون ويعرِّفون بكلِّ حرفٍ عربيٍ ، ويساعدون على تقليده. ونباشر بفتح في أماكن ذات طراز عربي إسلامي جميل تخصَّص لتعليم من تتولَّد لديهم الرَّغبة في تعلم العربية ممن يستقطبهم جمال الحرف العربي وأغرتهم القيمة اللُّغوية للمفردة العربية ، التي قد يكون استشفها بالاختلاط.

إنَّ كلَّ إنفاق على اللُّغة يدخل في إطار الاستثمار لمقدراتنا التي لا يجب ألا نبخل بشيء منها عليها ؛ لأنَّ العائد عظيم ، وهو من أدركه الآخرون ، حيث " تهتم الدول اهتمامًا متزايدًا بنشر لغاتها وبالتالي ثقافاتها الوطنية في أرجاء العالم وترصد لذلك ميزانيات ضخمة لتمويل المراكز والمؤسسات التي تنهض بهذه المهمة. وقد بلغ هذا الاهتمام حدًا دفع دولة مثل فرنسا إلى استعدادها لشطب (16) مليار دولار من ديونها الخارجية شريطة قيام الدول المدينة بتعليم اللغة الفرنسية لأبنائها " **د. حسن السلوادي : اللغة العربية والتطور الحضاري " رؤية مستقبلية" بحث منشور" ص 299**. فعلينا أن نتَّبع مثل هذا السلوك ، وأن نستفيد من كلِّ متاح من شأنه أن يسهم في تجسيد أفكارنا ، وبلوغ غاياتنا بكلِّ مهارة وتفنن ، مادامت الأسباب مهيأة ، والإمكانات التي تمنح تحققًا أكمل وإتقان أوفى للفكرة متوفِّرة . وتدليلاً على ما نقول وما نزعم . عن يقين . من توفِّر للقيمة والقدرة على تكثيف الإتقان ، وتوكيدًا وإثباتًا لجمالية الحرف العربي وقدرته على التَّعبير عن اللُّغة ، ومدى الحاجة لمضاعفة الجهود لإبرازه ذلك ؛ نعرض لوحةً فنيَّة لفنان فرنسي (غير عربي) يبد أنَّ شكل الحرف العربي خامر ذائقته بما يحمل من إيحاءات فوظَّفه لبيان وإتقان عمله الفنيِّ . ولطبع فكرته بالتَّميز والجاذبية ، قام بالمزج بين فنَّي التَّعبير والتصوير . أي : بين الرسم (رسم الكلمة) ، وبين تقنية التَّصوير بآلة تصوير عالية الدِّقَّة ؛ بأن يقوم برسم الكلمة على زجاج شفاف باستخدام مصدرٍ ضوئي متحرِّك ، على أن يتمَّ تصويره أثناء حركته وتحريكه لمصدر الضوء وهو يخطُّ الكلمة حرفًا حرفًا حتَّى ظهرت اللَّوحة الفنيَّة التي صاغه خياله ، والتي أراد أن يحاكي بها أعين الناس مستنيرًا برقة الحرف العربي ورقيه الجمالي ؛ فكانت الصور ذات المضمون الجمالي للحرف العربي الشَّكل الآتي:

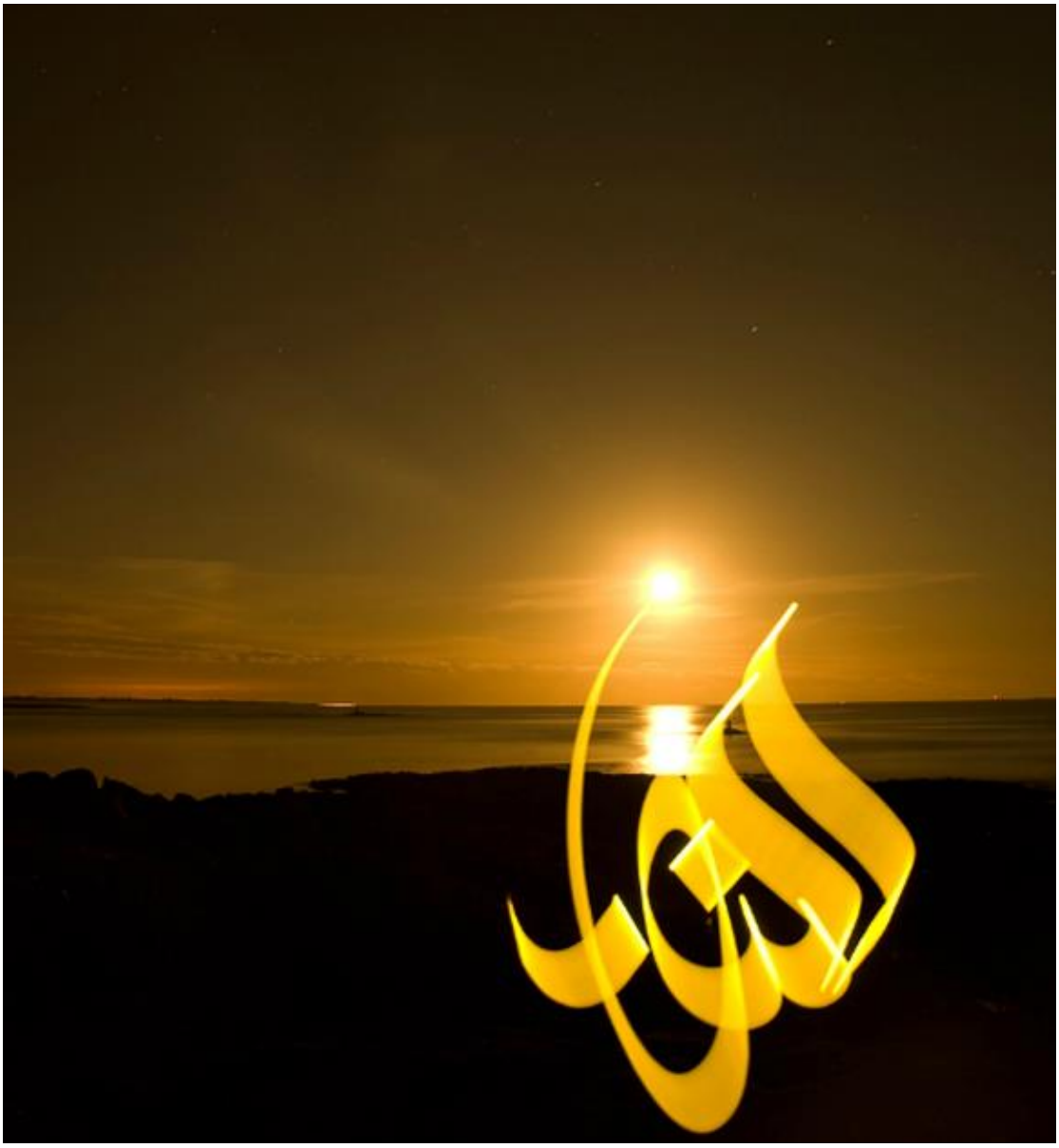

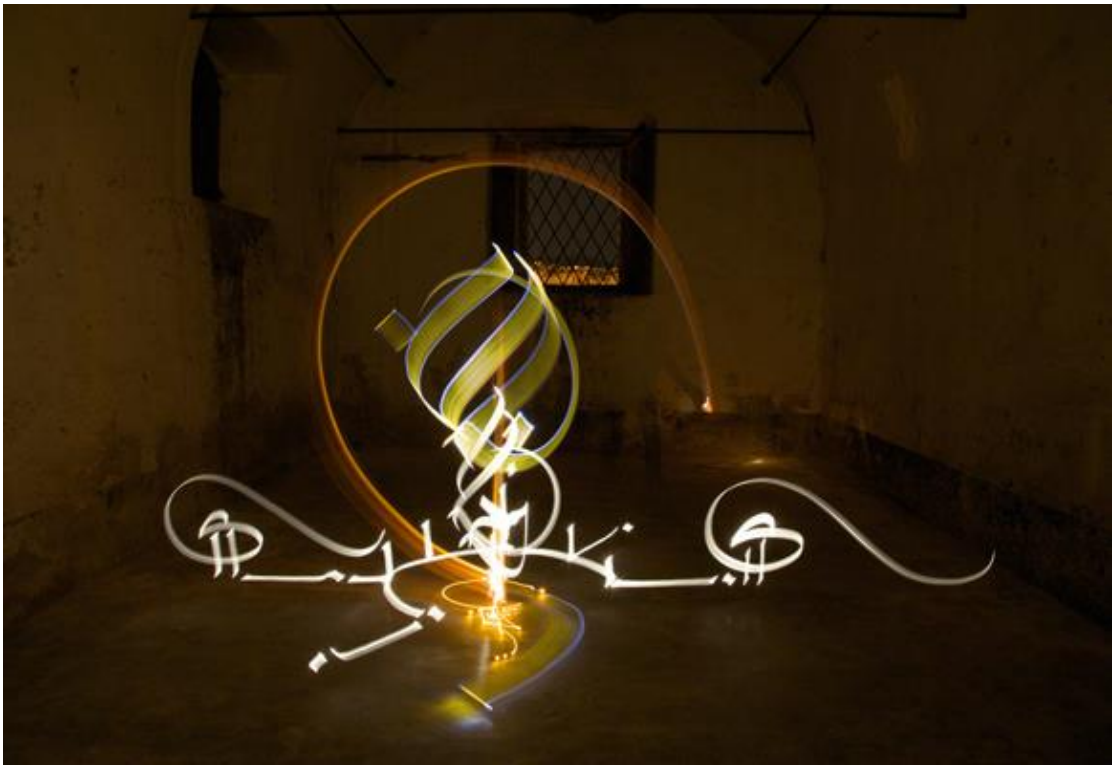

" نقلاً عن شبكة المعلومات الدَّولية : موقع عالم الإبداع http://www.ibda3world.com"

وتظلُّ المهرجانات التي تقام احتفاء بالمناسبات الوطنيَّة والدِّينيَّة والشَّعبيَّة التراثية للتعريف بالثقافات والعادات والتقاليد العربية في البلاد الأجنبية ولغير العرب ، وكذلك مهرجانات التَّسوق ؛ ذات صلة بالتَّعبير والتَّصوير كونها ذات قابلية للاستخدام ، وفاعلية في التَّعبئة القيميَّة العولمية لإسقاط ما في لغتنا من ثراء لفظي ومعنوي على الآخرين . لقد جرت العادة على أن يكون في برامجها كلِّها ، أو في بعض منها فقرات تخصَّص للمسابقات التي تقدَّم فيها الجوائز والهدايا الثمينة للفائزين من المشاركين . من هذه الهدايا ما يكون من الذهب الخالص؛ فلماذا لا نوزِّع كمية الذهب الممنوحة في كلِّ يوم من أيام المسابقة . ولتكن كيلو أو نصف الكيلو جم . بين أقراط وخواتم وسلاسل تصَّاغ على هيئة حرف عربي ، أو أنْ تحمل كلُّ واحدة منها حرفًا أو حروفًا من حروف اللُّغة العربية الثمانية والعشرين ، في اغتنام لرغبة هؤلاء بالفوز ، والتَّنعم ببريق الذَّهب ؛ لتنعم لغتنا . بحسن تدبيرنا . بالحضور والانتشار.

خاتمة

لكلِّ ذي صلة بالحياة الإنسانية وجوده وامتداداته ، التَّي لا تقف عند حدٍّ ، ويتكيَّف هذا الوجود ثباتًا ، أو صعودًا ، أو نزولاً ، وفق المعطيات المحيطة به ، والمنسوب إليها أو المحسوب عليها ، كونها قادرة على أن تحفظه وتنميه إذا ما أولته العناية وأخلصت له الفكر والعقل ، وفي الوقت نفسه قد تجرُّه إلى الاضمحلال والاحتضار إذا ما تَركتْ بينه وبين الدَّهر وما يمارسه هو عليه ، وما يكون من مواقف عمَّاره من محاولات متكررة لإخضاعه أو إنكار لقيمة هذا الشيء وصلاحيته للأداء عبر التشويش والإقصاء ، أو الشهادة له بالاستحقاق والبقاء.

حتميٌّ أن يكون الخصم منكبًا على بذل الجهد لدرء كلَّ حضور لمقومات الآخر ، ولو كان الحضور بمقدار قبس ، ويبقى السعي محمومًا لنسف وجوده . وحتميٌّ أن يولي ذوو هذي المقومات قدراتهم ومدخراتهم المادية والمعنوية والفكرية على الأصعدة كلَّها : السِّياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والثقافية ؛ لمقومات وجودهم الذي لن يكون محمودًا إلا بصون وجود هذه الأشياء على أكمل حال ، وفي أحسن شأن . ونحن العرب حُبينا بمقومٍ أساس رصين ألا وهو اللُّغة العربيَّة التي لا تحتاج إلى كثير ثناء فهي تثني على نفسها ، لكنها احتاجت وتحتاج إلى حسن التعامل معها وبها من أهلها ، وتحتاج كرم العلاقة والبر منهم بما يجود به العقل والفكر والأرض وبخاصة أنَّ ذلك متوافر وبالإمكان ، وما ينقص هو إرادة الفعل والفاعلية.

ليس عسيرًا أن نبتكر آليات الحفظ والتجديد ، وإنَّ ساورنا بعض الفتور أو القصور في فلاح ما قد نخطط له ، فهذا يرجع إلى عدم إيماننا بقيمة التجربة وجدواها . لقد جرَّب غيرنا ما طُرِح عليهم من أفكار توصلت إليها عقول علمائهم وخبراتهم ؛ فأفلحوا في تحقيق مشاريعهم ذات الطابع القيمي لكياناتهم كالغزو الثقافي لغيرهم من الكيانات القائمة ، وعولمة خصوصياتهم من أفكار ورؤى وأهداف ، وكان الجهد الأكبر مخصصًا للغاتهم حتَّى سادت الأوساط التعاملية والحياتية كلِّها . ونحن أهل قدرة على فعل ذلك وأكثر منه لما نكسب من مقومات الانتماء العقدي للغة القرآن وشهادته للغتنا بالقيمة والقدرة ، وبما انجبت وتنجب أمتنا من حملة العقل والفكر ، وما تفيض بها بلادنا العربيَّة من خيرات ، فلا نحتاج إلى لرسم الخطط النَّاجعة وتطبيقها والدفاع عنها والإنفاق عليها بسخاء. وهذا ما يقرُّ به كلُّ مخلص جاد في خدمة العربية وصونها.

ولقد خلص البحث إلى جملة من النتائج ؛ أهمها:

. اللُّغة العربية بما تملك من قداسة وجماليات حافظة لذاتها.

. إذا ما تداخلت المكتسباتُ كلُّها ، وتكاثفت في خدمةِ العربيَّةِ ، ضمنت اللُّغة ريادتها ، وصين لها قدرها.

. من ملحات التَّفعيل ؛ لزوم جعلِ اللُّغة العربيَّة في متناولِ الجميعِ ، بل في خانةِ الطَّلبِ عليها ، كونَ الحاجاتِ والرغباتِ الماديَّة والمعنويَّة تقتضي ذلك.

. التركيز على المناهج الدراسية ، وانتقاء الأدوات ووسائل الإيضاح لتجسيد رفعة اللُّغة العربيَّة ، وغرس حبها في النفوس منذ الصِّغر. والتذكير والإلزام بها والتشويق إليها في الكبر.

. لن تُعدم الوسائل الفاعلة الموصلة إلى الغاية السَّامية المتمثلة في أخذ اللُّغة العربيَّة مكانها في الاحتياج إليها على اعتبارها لغة تعامل وتواصل عالميين.

. التَّفريط في اللُّغة العربية وإبدالها بغيرها في المجتمعات العربيَّة كلِّها واضح بيِّن.

. منح الأولوية في العدَّة والعتاد لأمور أقل وزنًا من اللُّغة في حفظ الهويَّة.

. سرعة التأثر بثقافة الآخر سهَّل السَّبيل لعولمة لغته وثقافته وأفكاره.

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

- **د. أحمد بن عبد الرحمن آل أحمد الغامدي : ثقافة الصورة الفنية وأثرها الاجتماعي والتربوي ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، ص 212**

. د. حسن السلوادي : اللغة العربية والتطور الحضاري " رؤية مستقبلية" بحث منشور في كتاب : استشراف المستقبل " أوراق المؤتمر العلمي التاسع " ص 299.

. د. سعد جلال : علم النفس الاجتماعي ، ص 284

. **د. مقبولة مسعود علي : الفعل الإنساني وأثره في قيام الحضارة وانهيارها ص180**

. د. محمد أديب عبد الواحد جمران : معجم الفصيح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية . مكتبة العبيكان . الرياض . ط1 / 1421 هـ . 2000م ، ص 6.

. شبكة المعلومات الدَّولية : موقع عالم الإبداع http://www.ibda3world.com

ـــــ شـــــبكة المعلومـــــات الدَّوليـــــة : **موقـــــــع (المخترعـــــــون والاختراعـــــــات) http://inventorshere.blogspot.com**

ـ شـبكة المعلومـات الدَّوليـة : **موقــع جمعيــة اقــرأ لــدعم التعلــيم فــي المجتمــع العربــي "http://www.eqraa.com**

. شبكة المعلومات الدَّولية : **موقع علماء العرب http://almhml.blogspot.com**

. شبكة المعلومات الدَّولية : موقع عالم الإبداع "http://www.ibda3world.com